

النجاة من الفتن

طريق النجاة في زمن الفتن علي منهج رسول الله صلي الله عليه وسلم

النجاة من الفتن

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد فبعد أن قامت الثورة في مصر و في بعض البلدان الاسلامية انتشرت الفتن والفرقة والتحزب والتعصب وأصبح الناس في حيرة من أمرهم لا يعلمون الصالح من الطالح خاصة وأن أغلب العلماء قد فتنوا واغتروا بالفتنة عافانا الله منها، وذلك إما ظنا منهم أنها سوف توصلهم الي مصلحة الدين وهو ظن باطل أو لمصلحة شخصية، وفريق آخر اعتزلوا الفتنة وخافوا علي أنفسهم منها فلم يحذروا الناس والعوام وكانت النتيجة أن الفتنة تزيد يوما بعد يوم وتعصف بالأمة الإسلامية بلدا بعد الآخر وقد أصبح الإسلاميون مادة خصبة لسخرية العلمانيين وأعداء الإسلام وذلك بعد أن ترك الدعاة ثغورهم ومنابرهم وتركوا الدعوة إلي الله التي هي أصل منهج النبي صلي الله عليه وسلم و انخرطوا في أمور السياسة والحكم وسعوا إلي السلطة وانجروا خلفها وتنازلوا من أجلها عن ثوابت الدين التي كانت قبل الثورة من أصول أهل السنة والجماعة، فأصبح ما كان محرما بالأمس مباحا اليوم بحجج وشبهات ألغوها علي الناس مثل مقاصد الشريعة ودرء المفاسد وأخفوا الأدلة المحكمة التي تخالف هواهم عن الناس.

لذلك فقد رأيت أن أقوم بعون الله وحولة وتوفيقه بجمع الأدلة من كتاب وسنة وأقوال العلماء من أهل السنة والجماعة وتفسيرهم لهذه الأدلة فأنا لست أهلا لتفسير حديث أو آية إنما سأنقل تفسير أهل العلم الثقات لهذه الأدلة في هذا البحث وذلك بهدفين:

الأول: أن تكون نجاة لي أولا فأنا لا أضمن نفسي أن أفتن غدا كما فتن من هم أحسبهم عند الله أفضل مني خاصة وأن الشبهات تزيد يوما بعد يوم وأخشى أن أصبح يوما فلا أجد هذه الأدلة الشرعية متاحة بين يدي كما هي الآن أو لا أجد الوقت الكافي للبحث عنها فأقع في الشبهات، فإذا ما مالت رأسي مع الفتنة وجدت هذا البحث الذي جمعت فيه خبر الفتنة كله فلجأت إليه.

الثاني: وأيضا عسى أن يكون سببا في هداية آخرين يبحثون مثلي عن الحق في كلام الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم ولكن لا يجدوا من يدلهم عليه في هذه الظلمة والفتن التي حلت علي أمة الإسلام وعلمائها.

وأحب أولا أن أبدأ بكلمة الشيخ الألباني رحمه الله (طالب الحق يكفيه دليل واحد، وصاحب الهوى لا يكفيه ألف دليل)

وندعوا الله أن يكشف الفتنة والظلمة عن المسلمين وهيا لا بد لها أن تتكشف، ولكن الله يبتلينا بالفتن لكي يمحس القلوب و يبتلي ما في الصدور و لكي يبين الخبيث من الطيب فهو القائل تعالى (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) آل عمران: 154

وهو القائل جل وعلا

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} {آل عمران: 179}

وقال تعالى

(أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) سورة العنكبوت: 2

ولا يغرنك إتباع أغلب الناس عامة والعلماء خاصة للفتن فهذه هي سنة الله الدائمة أن أهل الحق هم دائما قليل فقد قال تعالى مخاطبا نبيه صلي الله عليه وسلم:

(وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)

الأنعام: 116

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) رواه مسلم 145

فأنت الجماعة مادمت علي الحق ولو كنت وحدك وكما وصف رسول الله صلي الله عليه وسلم الفرقة الناجية قال (ما عليه أنا وأصحابي) أي أن المقياس ليس بالأغلبية والكثرة وإنما بالإتباع وموافقة الكلام والأفعال للدليل من كتاب او سنة صحيحة بدون تأويل شاذ ولي لأعناق النصوص لتوافق هوي متبع.

فمعلوم أن أتباع الحق في كل العصور هم القلة وليسوا الأغلبية وإلا فكيف يكون أن من يدخل الجنة من كل ألف واحد والباقيون في النار كما ثبت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم.

ونجد الدليل علي قلة أتباع الحق في كل عصر في فتنة خلق القرآن وهي من أعظم الفتن في تاريخ الاسلام وفيها قال أغلب العلماء في هذا العصر بأن القرآن مخلوق وليس كلام الله إما تقية وخوفا من سيف الخليفة وإما سعيا وراء المال وإرضاء للخليفة ولم يقف لها إلا نفر قليل من أهل العلم لا يتعدون أصابع اليد الواحدة وأشهرهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو مع كثرة ما لاقى في هذا الأمر من سجن وجلد وسحل ودهس بالأرجل إلا أنه لم يضعف عن قول الحق لكون أغلب الناس اتبعوا الباطل، وفي نفس الوقت لم يأمر بالخروج علي ولي الأمر ولم يكفره بل وقف في وجه من أرادوا الخروج عليه وخلعه من الخلافة.

ولزم في بداية البحث أن نأتي بالادلة علي وجوب طاعة الله ورسوله حتي وإن خالف كلامهم هوي النفس ونأتي بالادلة علي ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم.

قال عز وجل:

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (51) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَقَعِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (النور: 51، 52).

وقال سبحانه وتعالى:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) سورة الأحزاب: 36

ولا يجوز حين تسمع كلام الله أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم أن تحتج عليه بقول الشيخ فلان أو العالم فلان فليس ذلك مذهب أهل العلم إنما هو مذهب أهل الأهواء والبدع أن يتعصبون لكلام شيوخهم فيرفضون لأجله الحق من كلام الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم.

فقد ذكر أحمد بن حنبل في المسند الجزء الأول صفحة 337 : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ الْفَضِيلِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَرَاهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تَمَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنْ الْمُتَنَعَةِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا يَقُولُ عُرْيَةُ قَالَ يَقُولُ نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنْ الْمُتَنَعَةِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ

هل تري أخي الكريم يرد كلام أبا بكر وعمر وليس كلام الشيخ فلان والشيخ فلان لأن كلامهما خالف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يوجد في عصرنا هذا من هو اعظم من أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؟

وذكره ايضا محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

وقال الحميدي : كنا عند الشافعي؛ فأتاه رجل فسأله في مسألة؟ فقال: قضى فيها رسول الله كذا وكذا فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: , سبحان الله تراني في كنيسة؟ تراني في بيعة؟ ترى على وسطى زناراً؟ أقول لك: قضى فيها رسول الله وأنت تقول: ما تقول أنت؟

- قال الشافعي رحمه الله: (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان)

قال ابن القيم رحمه الله (ومن الأدب معه أن لا يُستشكل قوله؛ بل تستشكل الآراء لقوله, ولا يُعارض نصُّه بقياس, بل تُهدر الأقيسة وتُلقي لنصوصه, ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا ولا يوقف ما جاء به على موافقة أحد فكان هذا من قلة الأدب معه بل هو عين الجراءة. أنتهي

فأين هذه السيرة العطرة من أناس قل توقير السنة في قلوبهم؛ فمنهم من يلغو ويرفع صوته إذا ذكر الحديث, ومنهم من يرد ما فيه لشبه عقلية؛ ومنهم من يرد الحديث لمخالفته العقل أو لعدم تمشيهِ مع الواقع من وجهة نظره؛ أو أنه يكثر التأويل بغير حق وعسف الأحاديث حتى توافق ما نشأ عليه من الأفكار أو الإتجاهات.

- هذا وقد قسمت هذا البحث إلي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأدلة علي وجوب طاعة أولي الأمر وإن كانوا ظالمين أو فاسقين إلا في معصية الله فلا طاعة لهم ولكن لا يخرج عليهم إلا أن يكون منهم كفرا بواجب.

القسم الثاني: شبهات اصحاب دعوة الخروج والثورات والرد عليها.

القسم الثالث: بيان كيفية النجاة من هذه الفتن والطريق الحق للتمكين لدين الله والمسلمين.

القسم الأول الأدلة على وجوب طاعة أولى الأمر وإن كانوا ظالمين أو فاسقين إلا في معصية الله فلا طاعة لهم ولكن لا يخرج عليهم إلا أن يكون منهم كفرا بواحا

الأدلة:

قال الله تعالى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) سورة النساء: 59

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيَّةٌ» رواه البخاري

وطبعا كما هو معروف فإنه لا يجوز تولية العبد حيث أنه من شروط الحاكم أن يكون حرا وليس عبدا فما تعليق الإمام ابن حجر علي هذه النقطة في كتابه فتح الباري؟

قال رحمه الله:

(واجمعت الامة على انها لا تكون في العبيد) (يقصد الولاية) قلت : ويحتمل أن يسمي عبدا باعتبار ماكان قبل العتق وهذا كله إنما هو يكون بطريق الاختيار وأما لو تغلب عبد حقيقة بطريق الشوكة فإن طاعته تجب إخمادا للفتنة مالم يأمر بمعصية كما تقدم تقريره وقيل المراد أن الإمام الأعظم إذا استعمل العبد علي إمارة بلد مثلا وجبت طاعته وقال الخطابي قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود يعني وهذا من ذاك أطلق العبد الحبشي مبالغة في الأمر بالطاعة (وإن كان لا يتصور شرعا أن يلي) إنتهي كلام بن حجر رحمه الله.

وروى الإمام مسلم، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلَ سَلْمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتِ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا: فَقَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَدَّبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»

أورد الإمام النووي هذا الحديث في كتاب الإمارة باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق ولم يعلق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرُكَ وَأَخَذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» رواه مسلم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْئًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) رواه البخاري ومسلم

وقال الإمام بن حجر في شرح الحديث في فتح الباري:

قوله (فإنه من خرج من السلطان) أي من طاعة السلطان ، ووقع عند مسلم (فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان) وقوله شبرا وهي كناية عن معصية السلطان ومحاربتة قال ابن أبي جمرة : المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فكفى عنها بمقدار الشبر.

وقال أيضا في نفس الحديث : وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ

(إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرَأَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ
«لَا مَا صَلُّوا»

أَيَّ مَنْ كَرِهَ بِقُلُوبِهِ وَأَنْكَرَ بِقُلُوبِهِ. رواه مسلم

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَقَالَ (فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ) رواه البخاري ومسلم

وروي البخاري في صحيحه

حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا الأعمش حدثنا زيد بن وهب سمعت عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنكم سترون بعدي أثره وأمورا تتكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم:

(قال حذيفة بن اليمان قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر، قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير، قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر، قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)

الحديث رواه مسلم وقد رواه الحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي والألباني

وعلق عليه النووي فقال : وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، ووجوب طاعته ، وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية وفيه معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي هذه الأمور التي أخبر بها ، وقد وقعت كلها. والإمام ما دام لم يظهر منه كفر بواح عليه من الله برهان فإنه يحرم الخروج عليه، حتى ولو ارتكب الكبائر دون الشرك، حتى ولو ظلم الناس بأخذ حقوقهم وبخسهم فيها،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ونهبوا عن قتالهم ما صلوا، وذلك لأن معهم أصل الدين المقصود، وهو توحيد الله وعبادته، ومعهم حسنات وترك سيئات كثيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله

ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف؛ وإن كان فيهم

ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفاسدين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته.

وقال رحمه الله:

وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان - أيضا - ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء

ولا يجوز الخروج على ولاية الأمور إلا في حالة واحدة، وهي أن يأتوا كفرا بواحا وفيه من الله برهان، كما جاء في الحديث، هذا وقد وضع أهل العلم للخروج على الحكام ضوابط وشروطا يجب أن تكون متوفرة في الحاكم المراد الخروج عليه، وهذه الشروط مأخوذة من قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان).

وقد بين فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذه الشروط فقال فليعلم أن الخروج على السلطة لا يجوز إلا بشروط:

الشرط الأول: أن تروا بمعنى أن تعلموا علما يقينيا بأن السلطة ارتكبت كفرا

الشرط الثاني: أن يكون الذي ارتكبه السلطة كفرا : فأما التفسير فلا يجوز الخروج عليهم بسببه مهما عظم

الشرط الثالث: بواحا أي معلنا صريحا لا يحتمل التأويل

الشرط الرابع: عندكم فيه من الله برهان أي مبني على برهان قاطع من دلالة الكتاب والسنة أو إجماع الأمة فهذه شروط أربعة

وقال ابن ابي العز في شرح الطحاوية:

دَلَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ عَلَى وَجُوبِ طَاعَةِ أُولَى الْأَمْرِ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) - كَيْفَ قَالَ : (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)، وَلَمْ يَقُلْ : وَأَطِيعُوا أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ؟ لِأَنَّ أُولَى الْأَمْرِ لَا يُفَرِّدُونَ بِالطَّاعَةِ ، بَلْ يُطَاعُونَ فِيمَا هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَأَعَادَ الْفِعْلَ مَعَ الرَّسُولِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْمُرُ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ ، بَلْ هُوَ مَعْصُومٌ فِي ذَلِكَ ، وَأَمَّا وَلَى الْأَمْرِ فَقَدْ يَأْمُرُ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ ، فَلَا يُطَاعُ إِلَّا فِيمَا هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَّا لَزُومُ طَاعَتِهِمْ وَإِنْ جَارُوا ؛ فَلأنه يَتَرْتَّبُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِهِمْ مِنَ الْمَقَاسِدِ أضعَافٌ مَا يَحْصُلُ مِنْ جَوْرِهُمْ ، بَلْ فِي الصَّبْرِ عَلَى جَوْرِهُمْ تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَمُضَاعَفَةُ الْأَجُورِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا سَلَطَهُمْ عَلَيْنَا إِلَّا لِفَسَادِ أَعْمَالِنَا ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ، فَعَلَيْنَا الْاجْتِهَادَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الْعَمَلِ . قَالَ تَعَالَى : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) ، وَقَالَ تَعَالَى : (أَوَلَمَّْا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا فُلْنَمُ أَلَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) ، وَقَالَ تَعَالَى : (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . فَإِذَا أَرَادَ الرَّعِيَّةُ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ ظُلْمِ الْأَمِيرِ الظَّالِمِ فَلْيَتَرَكُوا الظُّلْمَ . اهـ

*وفي كلامه هذه رحمه الله فائدة عظيمة وهي مفتاح الحل لكل هذه الفتنة فإن أراد الرعية التخلص من ظلم الأمير فليتركوا الظلم وإن أرادوا التخلص من فسق الأمير فليتركوا الفسق وإن أرادوا التخلص من إستغلال الأمير فليتركوا الإستغلال وهكذا هذا هو مذهب العلماء الربانيين ولهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم الخروج ليس ضعفا واستكانه وإنما لأن الحل ليس في الخروج علي الحاكم إنما في إصلاح النفس.

* فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في طاعة الحكام كما بينها رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية

وقد نقل الإجماع على لزوم النصوص الواردة في باب السمع الطاعة لولاة الأمور، وتحريم الخروج على ولاية الجور جمع من الأئمة منهم وليس كلهم أحمد بن حنبل وأنس بن مالك والبخاري أبو الحسن الأشعري والحافظ النووي وابن تيمية وابن القيم وابن حجر.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله

الإجماع الخامس والأربعون

(وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعلى أن كل من ولي شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف)

هذا وليست هذا كل الأدلة و لكنني أظن أنه في هذه الأدلة ما يكفي لمن هو يبحث عن الحق من أجل إتباع الحق أما من يبحث عن ما يرضي هوي نفسه فلن يكفيه هذه الأدلة ولا حتي ضعفها عددا هانا الله إلي إتباع الحق.

القسم الثاني: شبهات أصحاب دعوة الخروج والثورات والرد عليها

لقد جاء أصحاب هذه الدعوات بالعديد من الأدلة التي هي ليست إلا شبهات يلقون بها إلي الناس مستغلين جهل الأغلبية ليلبسوا عليهم دينهم, فمن هذه الشبهات أحاديث صحيحة ولكنها مجملة أو مطلقة أو عامه وكما هو معلوم عند أهل العلم فإن في كلام الله ورسوله صلي الله عليه وسلم العام يحمل علي الخاص والمطلق يحمل علي المقيد والمجمل يحمل علي المفصل.

فأصحاب الشبهات إما يعكسون القاعدة فيحملون الخاص علي العام مثل حديث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو حديث صحيح ولكنه عام وأحاديث النهي عن الخروج علي الحكام هي أقوال خاصه فلا يجوز حمل الحديث الخاص علي العام إنما يكون العكس , أو يخفون الحديث المقيد أو المفصل أو المخصص عن الناس لمخالفته هوهم.

وسبحان الله هم يلقون بهذه الشبهات وكأنهم وقعوا علي شيء جديد لم يعلمه العلماء الجهابذة من شراح الحديث مثل الإمام ابن حجر والإمام النووي رحمهما الله هل هؤلاء العلماء حين شرحوا أحاديث الخروج علي الحكام لم يكونوا يعلمون حديث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ كيف يكون ذلك والحديث ورد في صحيح مسلم وشرحه الإمام النووي الذي نقل الإجماع علي عدم جواز الخروج علي الحاكم بالظلم او التفسير.

الأن نأتي إلي شبهات يثيرها أصحاب دعوة الخروج علي الحاكم والرد عليها بإذن الله:

هذه بعض الأحاديث والآثار التي يستدل بها مجوزي المظاهرات والثورات والخروج على الحكام ؛ وللأسف أكثرها لا زمام لها لا خطام حتى ينظر فيها ؛ بل بعضها لا توجد إلا في كتبهم!!

1- حديث : (أطيعوهم ما أطاعوا الله فيكم ؛ فإن عصوا الله فلا طاعة عليكم عليهم)

إنما ذكر في كتاب (مسند الربيع) الإباضي

2- أثر:

(قام عمر رضي الله عنه يخطب فقال: أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه، فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه)

وهذه الرواية:

وخطب عمر رضي الله تعالى عنه يوماً قائلاً: " أيها الناس اسمعوا وأطيعوا ، فقام رجل من الرعية من عامة الناس، وقال : لا سمع ولا طاعة

فقال: لم ، رحمك الله ؟

قال : أعطيتنا ثوباً ثوباً ولبست ثوبين ! فقال : قم يا عبد الله بن عمر

فيقوم ابن عمر ويشرح القضية أنه قد أعطاه ثوبه ، فلبس عمر ثوبه وثوب ولده عبد الله ؛ لأنه رجل فارح الطول

الاثنين ليس لهم اسنادا ولا زمام لهم ولا خطام.

وألحق به هذا الأثر

عن أبي ذر أنه قال : عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه للأسف هذه الآثار لا تجدها في كتب الأحاديث والفقه ؛ بل وكتب العلماء المحققين ؛ وإنما تجدها في كتب المتأخرين المعاصرين الذين يدعون إلى الخروج على الحكام ؛ ويدعون إلى المظاهرات والثورات والإنتقابات

أما أثر خطبة أبي بكر - رضي الله عنه

(أخرجه عبدالرزاق في (المصنف) (336/11)

عن معمر عن رجل عن الحسن أن ابا بكر الصديق خطب فقال أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارها ولوددت لو أن فيكم من يكفيني فتظنون أنني أعمل فيكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لا أقوم لها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في اشعاركم ولا أبشاركم الا فراعوني فإن استقمتم فأعينوني وإن زغت فقوموني قال الحسن خطبة والله ما خطب بها بعده

هذا إسناد ضعيف ؛ لأنقطاعه ؛ وجهالة الرجل الذي روى عنه معمر

3- حديث : (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)

قال الشيخ عطية سالم في شرحه على الأربعين النووية

ولذا جعل صلى الله عليه وسلم (أعظم الجهاد: كلمة حق عند سلطان جائر)، ومتى تكون كلمة الحق عند سلطان جائر؟ إذا ظهر المنكر، وقام صاحب الحق وقال كلمة الحق عند هذا السلطان، ولكن ليس كل إنسان يستطيع ذلك، فإذا كنت تعلم من نفسك القدرة والصبر وعدم التعرض للإيذاء أو الإهانة أو تعطيل قيامك بالأمر في موطن آخر، وتعلم أنه يسمع منك فقل كلمة الحق، وتعلم أن الحكام والمسؤولين لا شك أنهم مسلمون ويقبلون الحق، ولكن لهذا السلطان سلطان وهيبة، فلا ينبغي أن تأتيه في مجلسه أمام العامة وتقول: أيها الحاكم! أنت أخطأت في كذا وكذا، سبحان الله! أما وجدت وسيلة غير هذه؟! لو كان إنساناً عادياً في هذا الجمع وقلت: يا فلان! أعلم عنك أنك فعلت كذا وكذا، فلا ينبغي لك هذا، هل هذا من باب الأمر والنصيحة أم هو من باب التشنيع والفضيحة؟ من باب الفضيحة.

والحديث هو أيضاً من الأدلة على تضليل هؤلاء للعوام بحمل المفصل على المجمل مع أنه يجب العكس وهو حمل المجمل على المفصل من قول رسول الله قما تقدم شرحه واليك هذا الحديث الذي يفصل الحديث السابق ويوضح كيفية نصح الحكام وقول الحق عندهم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أراد أن ينصح لسلطان بأمر ؛ فلا يبد له علانية ، ولكن ليأخذ بيده ، فيخلو به ؛ فإن قبل منه فذاك ، وإلا كان قد أدى الذي عليه له) وهو حديث خاص يشرح كيفية نصح ولاة الأمور ويجب حمل الحديث السابق(خير الجهاد) على هذا الحديث الخاص الذي يفسره ويبينه. والحديثين هذا والذي قبله حسنهما الألباني.

4- وهناك أيضاً الشبهة القوية التي يلقي بها أنصار الخروج على الحكام الي العوام ليلبسوا عليهم دينهم ويضلوهم ألا وهي شبهة خروج الحسين بن علي رضي الله عنهم علي اليزيد بن معاوية وأيضاً خروج عبد الله بن الزبير واضف اليها فتنة خروج بن الاشعث علي الحجاج.

الرد:

قال تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)

روى البخاري في صحيحه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم

فهؤلاء تركوا النصوص الواضحة الجلية المتواترة في المنع على الخروج على ولي أمر المسلمين وإن جار وظلم

وتمسكوا بالمتشابه للفتنة

فأين هم عما رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً إسمع وأطع وإن جلد ظهرك وأخذ مالك 0

ثم أن هناك فرق بين العاصي المتعمد والمخطيء المجتهد المتأول المرید نصره الاسلام إن كان من أهل العلم الذين يسوغ لهم النظر كالحسين رضي الله عنه فالأول هو المذنب والثاني مغفور له كما جاء في الحديث إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإذا أصاب فله أجران.

فكان الحسين رضي الله عنه متأول وهو إذا تأول فليس تأوله من جنس تأول الخوارج الجهلة والذين لا يحل لهم النظر في العلم وبناء الأحكام بالاتفاق

وقد جاءت النصوص النبوية بالمنع من الخروج وإذا تعارض مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وموقوف على بعض الصحابة فالمرفوع يقدم

كما قال بن عمر رضي الله عنهما هب أن أبي منع المتعة في الحج أقول نبي الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوه أم أبي.

ونقول فقد جاءت النصوص الواضحة الجلية التي لم تنسخ بالمنع من الخروج والخلاف وخروج الحسين وابن الزبير كان أولاً ثم استقر الاجماع على المنع

قال القاضي عياض بشأن خروج الحسين وأهل الحرة وابن الأشعث وغيرهم من السلف : " على أن الخلاف وهو جواز الخروج أو عدمه كان أولاً ، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم والله أعلم

ومن المعلوم أن أهل الحرّة (الذين خرجوا علي اليزيد) متأولون ، والمتأول المخطئ مغفور له بالكتاب والسنة ، لأنهم لا يريدون إلا الخير لأمتهم ، فقد قال العلماء : " إنه لم تكن خارجة خير من أصحاب الجماع والحرّة " ، وأهل الحرّة ليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ، ومع هذا لم يحموا ما فعلوه من القتال ، وهم أعظم قدراً عند الله ، وأحسن نية من غيرهم. فخرج أهل الحرّة كان بتأويل ، ويزيد إنما يقاتلهم لأنه يرى أنه الإمام ، وأن من أراد أن يفرق جمع ... المسلمين فواجب مقاتلته وقتله ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح . وكان علي - رضي الله عنه - يقول: "لو أن رجلاً مَنَّ بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه ، ولو أن رجلاً مَنَّ بايع عمر خلعه لقاتلناه

كما ان الحسين بن علي كان متأولاً وخروجه كان علي أساس أن القوم من أهل الكوفة كاتبوه وتناقلت عليه الكتب وتبين له من هذه الكتب انهم ما كان لهم امير وانهم لم يبايعوا اليزيد فذهب علي هذا الاساس

إذا فالحسين رضي الله عنه لم يكن خارجاً علي اليزيد ولم يكن طالباً للأمرة إنما كان ظنه انه مطلوب للإمرة وأن أهل الكوفة لم يبايعوا اليزيد للخلافة وحتى حينما قاتل لم يقاتل طلباً للإمرة حاشاه ابن نبي الله ان يفعل إنما قاتل دفاعاً عن نفسه واهله وشرفه ان يؤخذ أهل بيت النبي سبياً.

فالحسين بن علي رضي الله عنه نفسه رجع عن فعله, فطلب من السرية التي جاءت لقتاله ثلاث مطالب, وهي: لقاء يزيد أوالرجوع للمدينة أو الذهاب لأحد الثغور, فلم يجيبوه رضي الله عنه . وبادروا إلى قتله

ومع هذا الاجتهاد فان الحسين رضي الله عنه وابن الزبير قد خالفهم كبار الصحابة وكبار التابعين

روى البخاري في صحيحه، يرويه إلى نافع قال: "لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال إني سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (يُنصبُ لكلِّ غادر لواءٌ يوم القيامة)، وإنَّا قد بايعنا هذا الرَّجل" يعني يزيد بن معاوية؛ " ... على بيع الله ورسوله، وإنِّي لا أعلمُ غدرًا أعظم من أن يُبايع رجلٌ على بيع الله ورسوله ثم ينصبُ له القتال، وإنِّي لا أعلمُ أحدًا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلَّا كانت الفِصل بيني وبينه

ويقول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: " لمَّا أراد الحسين -رضي الله عنه- أن يخرج إلى أهل العراق، لما كاتبوه كُتِبَ كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر وابن عبَّاس وأبي بكر بن عبد الرحمن "بن الحارث بن هشام إلَّا يخرج

وذكر الحافظ بن كثير -رحمه الله- عندما ذكر في كتابه البداية والنهاية قتال أهل المدينة ليزيد، قال: "وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد ولا بايع أحدًا بعينه بعد "ببعته ليزيد

وقال أيضًا في موضع آخر في خروج الحسين: "لما استشعر النَّاسُ خروجه أشفقوا عليه من ذلك وحذَّروه منه وأشار عليه ذوو الرَّأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالقيام بمكة، وذكروا ما جرى لأبيه وأخيه معهم

وهذا عبد الله بن عباس يقول: "استشارني الحسين بن علي في الخروج فقلتُ: لو لا أن يزري بي النَّاس وبك لنشبتُ يدي في رأسك فلم أتركك تذهب

وكما بينا فإن الحسين بن علي رضي الله عنه نفسه رجع عن فعله, فطلب من السرية التي جاءت لقتاله ثلاث مطالب, وهي لقاء يزيد أوالرجوع للمدينة أو الذهاب لأحد الثغور, فلم يجيبوه رضي الله عنه وبادروا إلى قتله.

و هذه إضافة من البداية و النهاية

ولما ودعهم يزيد قال لعلي بن الحسين: قبح الله ابن سمية، أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألتني خصلة إلا أعطيتها إياها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت.

- وأما بالنسبة لفتنة ابن الأشعث والخروج على الحجاج كما ذكر غير واحد من أهل العلم أنه ليس بسبب الفسق، بل كان بدفاع الكفر عند من رأوا الخروج عليه، كما ذكر ذلك النووي في شرحه على مسلم، قال: "قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق، بل لمَّا غيَّر في الشرع وظاهر الكفر.

5- الرد علي شبهة أن يوسف عليه السلام قد طلب الإمارة بقوله (جَعَلَنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمِ) يوسف:55

هذه شبهة أخرى يلقون بها إلي الناس ليلبسوا عليهم دينهم وليبرروا لأنفسهم طلب الإمارة وإنفاق الملايين من أجل الوصول إليها.

الرد: أعلم أن طلب الامور أقل ما يقال فيه انه مكروه وذلك لنهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن طلب الإمارة في قوله (لا تسأل الإمارة) وفي حديث آخر (إنا لا نولي هذا الأمر من سأله) فكيف إذا طلبها يوسف عليه السلام؟

أولاً: هذا القول من قبيل من يقول قال الله تعالى (ولا تقربوا الصلاة) ويترك باقي الآية

فمن يقرأ سورة يوسف كاملة لن يجد أن نبي الله يوسف قد طلب الإمارة أو سعي لها بل حتي عندما كان في السجن لم يدعوا أصحابه في السجن إلي الوقوف مع للوصول للحكم لتحكيم شرع الله إنما دعاهم لعبادة الله وتوحيده , قال (يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) فلم يقل لهم أنا خير من هذا الملك فأنا أريد تطبيق شرع الله أنتخبوني ولم ينفق الملايين في الدعاية والملصقات والمؤتمرات فالمطلوب للإمارة لا ينفق مليما للوصول إليها بل يكون راغبا عنها زاهدا فيها وليس في حاجه لينفق الأموال للوصول إليها كيف يكون وهو مطلوب إليها؟

ثانياً: يوسف لم يقل هذه الكلمة إلا حين قال الملك (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) إذا هو لم يطلبها إنما جاء به الملك ليستخلصه لنفسه ويجعله من وزراءه ومستشاريه فقال يوسف إجعلني علي خزائن الارض لما أيقن ان الملك يريد أن يستعمله في شئون الحكم فأخبر الملك عن المجال الذي لديه علم فيه وهو خزائن الأرض. فهمل هذا طلب للإمارة كما يدعون؟

ثالثاً: إذا لم يكفيهم هذين الردين نقول لهم لو قبلنا جدلاً ان هذا طلباً للإمارة وأن يوسف عليه السلام قد طلبها نقول لهم أن شرعة سيدنا يوسف ليست شرعة لنا طالما وجد في شريعتنا ما ينسخها, ولو صح كلامكم لجاز للناس السجود لبعضهم احتجاجاً بسجود أخوة يوسف لهم!!

- هذا وقد أوردنا بعض الشبهات وليس جميعها وكل الشبهات مردودة بفضل الله لمن أراد ان يبحث عن الحق ولكن لا نريد ان نطيل الحديث فأصحاب الشبهات والأهواء لن ينتهوا أبداً من شبهاتهم وسيخرجون كل يوم بشبهات جديدة ليلبوا بها عقول الناس ويفرقوهم وليبرروا إتباعهم لأهوائهم ومصالحهم الشخصية وتركهم لأوامر ونواهي رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم.

القسم الثالث: بيان كيفية النجاة من هذه الفتن والطريق الحق للتمكين لدين الله والمسلمين

وبعد أن بينا هذه الأحكام بفضل الله وحوله وقوته السؤال المهم هو أين النجاة من كل هذا؟ كيف الطريق الي تمكين دين الله والمسلمين؟

- هل هو في الديمقراطية التي تخالف شرع الله لأنها سوف توصل الأسلاميين للحكم؟

- وماذا إن أتت الديمقراطية بمن ليس علي هوي هؤلاء الذين يدعون سعيهم لتطبيق الشرع هل سيكفرون بالديموقراطية؟ وكيف سيكون موقفهم أمام الناس الذين سعوا لإرضائهم بعد أن أقروا الديمقراطية كمنهج سليم يأتي منه المنافع للدين؟

- هل هو في الوقوف مع الثورات والمظاهرات والإعتصامات مع ما بيناه من مخالفتها للشرع؟

الجواب:

أولا : إعلم أن الحق لا يعرف بكثرة اتباعه وقد بينا ذلك في مقدمة البحث وضررنا له المثل بما حدث في فتنة خلق القرآن.

ثانيا: إعلم أنه في الإسلام الغاية لا تبرر الوسيلة فهذا مبدأ اليهود والشيعيين, فلا بد من سلامة الهدف وسلامة الوسيلة للوصول إليه وكما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كم من مريد للخير لن يدركه.

ثالثا: النجاة أولا وأخيرا في الإعتصام بدين الله وهدى نبينا محمد صلي الله عليه وسلم الذي قال (وخير الهدى هدى نبينا محمد صلي الله عليه وسلم)

وقد بين لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف النجاة في الفتن وماذا نفعل حيث أمرنا بعدم الخوض في الفتن واعتزال الامر كله.

ففي حديث حذيفة بن اليمان يقول (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) رواه البخاري

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قال -أي الإمام الطبري-: وفي الحديث إنه متى لم يكن للناس إمام، فافترق الناس أحزاباً، فلا يتبع أحداً في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية الوقوع في الشر)

إذا النجاة ليست في إنتخابات مجلس الشعب ولا إنتخابات الرئاسة ولا الوقوف خلف المرشح فلان وضد فلان بل في إعتزال تلك الفرق كلها والتزام هدي النبي صلى الله عليه وسلم وتنفيذ أوامره.

وفي الحديث عدم الخوض في الفتن وعدم السعي إليها فهذا هو منهج رسول الله وسبيل النجاة كما دل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حدثنا محمد بن عبيد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ح قال إبراهيم وحدثني صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به

سيقول قائل وهل عندما نعتزل الفتنة ونعتزل الانتخابات والديمقراطية سوف يمكن الله لنا كيف ذلك ونحن سوف نتركها للعلمانيين والليبراليين ؟

هذه شبهة أخرى من أعظم الشبه التي ألقاها أتباع الهوي علي الناس،

الإجابة: إعلم أنه لن يأتي الخير أبداً من أي طريق إلا الطريق التي دلنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الخير كله في إتباع رسول الله وطاعة أوامره حتي ولو أن الامر يخالف العقل المحدود والمنطق المتغير مع الزمن وإليك هذه القصة التي تعملنا ذلك:

ورد في كتاب البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله "فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد"

قال سيف بن عمر عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما بويع أبو بكر ، وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه قال : ليتم بعث أسامة وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة ونجم النفاق وشرأت اليهودية والنصرانية والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقتلهم وكثرة عدوهم فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته

وفي رواية أخرى قال والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أن الطير تخطفنا ،
والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين ، لأجهزن جيش أسامة

سبحان الله!! أين أصحاب فقه الواقع من هذا الكلام؟ أين الذين يعرضون أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي عقولهم؟

هل المنطق والعقل أن يخرج الجيش الذي فيه أخيار الصحابة من المدينة وتترك المدينة وفيها أمهات
المؤمنين خاوية فريسة سهله في أيدي أعداء الاسلام من اليهود والنصارى والمنافقين والمرتدين؟

الإجابة طبعاً لا ليس منطقياً علي الإطلاق بل العقل يقول أن يبقي الجيش، وأي شخص لو عرض الأمر
علي عقله (بدون وجود نص أو أمر من رسول الله) لقال لا يخرج الجيش ولكن.... الأمر هنا يختلف فهناك
أمر قد أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومع أن رسول الله حين عقد لواء هذا الجيش لم يكن كل
هؤلاء ارتدوا عن الاسلام ولم تكن قد حدثت كل هذه المتغيرات!!

وبالرغم من ذلك أنفذ أبو بكر رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تسبي نساء المسلمين
ولم تسقط دولة الإسلام بل قامت دولة الإسلام وأصبحت أعظم دولة في هذا الزمن أتدرون بماذا بطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباع أوامره.

ونحن نقول والله لو أن السماء أمطرت ذهباً علي المصريين بطريق غير الذي دل عليه رسول الله ما كنا
متبعين غير كلام وطريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والله لو أن الديمقراطية التي هي مخالفة للشرع والعقيدة وطلب الإمارة الذي نهى عنه رسول الله سوف
يوصلون إلي تمكين الاسلاميين ما اتبعناها وما رضينا بها أبداً.

ولا يقول قائل فقه الواقع وتغير الأزمان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تركت خيراً يقربكم إلى
الله إلا بينته لكم وأمرتكم به.

هل الثورات والمظاهرات من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

هل الديمقراطية من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أتوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله تقول ذلك

إذا فما هو الطريق الي التمكين الذي دلنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ذكر عبد بن حميد في مسنده، والطبري في تفسيره، وأهل التفسير عند سورة الإسراء: أن أشراف قریش
وعظماءها اجتمعوا عند الكعبة يوماً بعد غروب الشمس فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه

وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرفت الجماعة، فما بقي من قبيح إلا وقد جنته فيما بيننا وبينك، فإن كنت قد جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رأيا تراه قد غلب عليك (وكانوا يسمون التابع من الجن رأيا) بذلنا لك أموالنا في طلب رآه حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال صلى الله عليه وسلم: ما بي ما تقولون، ما جئتمكم أطلب أموالكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم.

لقد كانت فرصة العمر التي فاتت من أجل الإسراع بإقامة دولة الإسلام وتمكين دين الله في الأرض، لقد كان يمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل الملك والرئاسة ومن موقع القيادة يقيم الأمة ويبلغ الدين ويفعل ما يريد.. أليس كذلك؟!

فلماذا لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذا العرض الفائق وهذا الكرم الزائد؟ ولماذا فوت هذه الفرصة السانحة؟ لماذا ترك عرض صناديد قريش وأشرفها، وذهب يبحث عن بلال وعمار وزيد بن حارثة، ويفتش في الخبايا والزوايا عن مؤمن يؤمن به ويتبعه ويقبل دين الله الذي أرسل به؟

لأن الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف إلا بوحى كان يعلم أن هذا الدين لا يقيمه إلا أناس تربوا في محضنه، وتشربوا بعقيدته، وتأدبوا بأخلاقياته، قوم خلت قلوبهم عن كل شيء إلا محبة هذا الدين، محبة خالقهم وعبوديته، محبة نبيهم ورسولهم وتعزيره وتوقيره، وإرخاص نفوسهم قبل أموالهم من أجل هذا الدين. أناس حياتهم بالدين ومماتهم للدين، يصدق فيهم قول الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: 162]. وبغير هذه الأمة المرباة على التوحيد الخالص والولاء الكامل لهذا الدين فلا قيام لهذه الأمة التي تسمى بأمة الإسلام.

هذا هو المنهج فرسول الله لم يبعثه الله حاكما إنما بعثه هاديا والدين لا يأتي من الحكم وإنما يأتي الحكم من الدين وهذا ما علمه رسول الله لذلك رفض الملك لأنه يعلم أن هذا ليس الطريق إلي التمكين. إنما الطريق هو الدعوة إلي الله وتربية الناس علي التوحيد والتسليم لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ختاما

حينما كنت صغيرا كنت أسمع المشايخ في المساجد يشرحون لنا أحاديث الفتن وكانوا يحكون عن فتنة المسيح الدجال ويروون لنا الأحاديث الصحيحة التي توصفه وصفا دقيقا وتوصف الفتن التي يفتتن بها الناس وكيف أنه يتبعه الكثير من الناس وكيف أن المهدي المنتظر بالرغم من وصف النبي صلى الله عليه وسلم له ولعلاماته إلا أنه يخرج جيش من المسلمين ليحاربه ويخسف بهذا الجيش الأرض!!

فكنت أتعجب وقتها حيث أنه من المفترض أنه حين تأتي هذه العلامات أن تكون دليلا علي صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يجعل المسلمين يوقنون بصدقه ويتبعون هديه ويجعل الكافرين يصدقونه ويدخلون في الإسلام أفواجا فكيف يحدث العكس وينصرف الناس إلي الفتن ويتبعون المسيح الدجال ويقعون في فتنته بالرغم من أن الأحاديث قد وصفت لنا هذه الفتن بدقة شديدة؟؟؟

اليوم قد عرفت الاجابة.

فما يحدث من أحداث وفتن في البلاد فبالرغم من أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قد بين لنا حكمها ووصف لنا هذه الفتن بدقة شديدة وكل ما سيأتي فيها ووصف لنا الداء وبين لنا الدواء فبدلا من أن يؤمن الناس ويصدقوا ويتبعوا نجدهم يعرضون عن كلامه صلى الله عليه وسلم بحجة أنه منافي للعقل وبانه لا بد له من تفسير غير ما يبدو في ظاهره وطبعا لا يأتون بهذا التفسير ولكنهم يرفضون فقط ونجد علماء المسلمين بدلا من أن يحذروا الناس من الفتن ويعلموهم هذه الأحاديث نجدهم يخفونها عن الناس فلا نكاد نسمعها في أي وسيلة إعلامية فعرفت الآن كيف سيتبع الناس المسيح الدجال وقي الله المسلمين جميعا شر فتنته.

هذا وما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان.

هذا وبالله التوفيق وصلي اللهم وسلم وبارك علي نبينا وعلي اله وصحبه اجمعين.